دبلوماسية الاربعين
و القوة الايرانية الناعمة في بلورة القيم الاخلاقية والاجتماعية

بقلم: محمد اسدي موحد
(باحث وأستاذ جامعة)

يؤكد الدين الاسلامي على المناسك الجماعية جنباً الى جنب مع الاهتمام بالمناسك الفردية، وذلك لإرساء التقارب والتعاضد وبلورة الامة الاسلامية الواحدة. وان نفس هذا التأكيد يستبدل مسيرة الاربعين من مناسك فردية، الى تحرك شعبوي تشارك فيه عشرات الملايين، ويمدها بحياة سياسية وثقافية خاصة، وحتى انها تخلق تحركات واسعة على الصعيد الاقتصادي بين الشعبين الايراني والعراقي.

مسيرة الاربعين عبارة عن شعائر اسلامية، تكمن عظمتها وجذابيتها باحتضان اتباع الاديان الاخرى بما فيهم المسيحيون وضمّهم الى صفوف الاربعين، بل واستطاعت ان تبدل البعض الى رائد للتعريف بالاسلام الاصيل ونهج أهل البيت والمدرسة الفكرية لعاشوراء. ولا يخفى ان مثل هذه المناسك الجمعية العظيمة، إنما هي من سياق الحياة الاجتماعية للتشيع، اي نابعة من التحرك المعارض للغطرسة السياسية الاستكبارية، ولعل من ابرز واهم تداعياتها: تجسيد الهوية، وبناء الرمز، والتعاون والتعامل الثقافي والاجتماعي.

ان هذا التحرك الخاص وبوحي من أبعاده الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية، يستعرض صورة الاسلام الجماهيرية الشعبوية، التي تفضي الى خلق وايجاد نوع فريد من الدبلوماسية، تحاول في كل عام البرهنة على طاقاتها وقدراتها في التعبير عن نفسها بنحو متجدد يستحوذ على الاهتمام ويبهر الابصار.

ان دبلوماسية الاربعين تبذل ما بوسعها لتقديم صورة سليمة عن قيام عاشوراء والايمان بالولاية، ورسم صورة واضحة لتوحد الامة الاسلامية. وفي هذا الصدد لا تغفل عن لفت الانظار الى العناصر الثقافية لتعريف شعوب العالم بالصورة الحقيقية للاسلام والتشيع. وفي هذا الصدد يقول سماحة القائد: " الشعائر تتمحور في الاساس حول الظواهر، ولفت الانظار، والاستعراض وابقائها حية ماثلة للعيان " (آية الله الخامنئي، ٨ / ٦ / ١٣٨٤ شمسي).

في الحقيقة ان دبلوماسية الاربعين الثقافية تتمحور حول استخدام العناصر الثقافية لإيصال الصورة الحقيقية لنهضة سيد الشهداء الى شعوب العالم، وبذلك تلفت الانظار الى هذا التحرك العظيم الذي يعبّر عن نجاح وموفقية الدبلوماسية الثقافية للاربعين.

وعلى حد تعبير سماحة القائد، ان مسيرة الاربعين باتت تشكل جانباً من الشعائر الالهية. وفي ذلك يقول سماحته : " ان هؤلاء الذين يقطعون كل هذا الطريق، ويقومون بهذا التحرك الايماني المفعم بالمحبة والعشق، هم في الحقيقة يؤدون حسنة من الحسنات. فهو عبارة عن شعيرة عظيمة، ولا شك انها من شعائر الله، فلا تُحلّوا شَعائرَ الله ". (آية الله خامنئي، ٩ / ٩ / ١٣٩٤).

دبلوماسية الاربعين وعالمية قيم الاسلام الاخلاقية والاجتماعية

من نتائج دبلوماسية الاربعين، عالمية القيم الاخلاقية والاجتماعية. ذلك ان التعايش السلمي بين عشرات الملايين في أيام الاربعين في ظروف واحدة وبطبيعة الحال صعبة، بعيداً عن النظرة القومية، والعشائرية، والقبلية، والاهم من كل ذلك هو اعتبار هذا التحرك الجماهيري البحت، الذي لا يتوانى عن خدمة زائري أبي عبد الله الحسين، مدعاة للفخر والاعتزاز، ويليق بان يتعرف العالم عليه. وفي هذه الاثناء يضطلع اللاعبون بأداء دور محوري ملفت في هذا الصدد، حيث يتولون مهمة مواصلة دور المشاركين والتوجهات المحورية على الصعيد الدبلوماسي.

المعنيون بدبلوماسية الاربعين

ان لساحة الاربعين الدبلوماسية نشطاء يعملون على إيصال رسائل هذا الحدث العظيم الى شعوب العالم. ولاشك في ان اهم وابرز لاعب في هذا الميدان الدبلوماسي هو ايران والايرانيون.. دبلوماسية الاربعين حافلة بالحلول التي تتمحور حول التقارب الاقليمي بين الدول الاسلامية.

لقد استطاعت ايران بوحي من دبلوماسية الاربعين، لفت انظار العالم الى أمة اسلامية حديثة تستحوذ على تأمل واهتمام دوليين. في عالم اليوم ان هذا النوع من الدبلوماسية، الذي يمكن النظر اليه بمثابة دبلوماسية

عامة ايضاً، يمكن الاستعانة به للاستحواذ على الرأي العام العالمي بدلاً من القوة الاقتصادية والعسكرية، وتمهيد الارضية المناسبة لبروز القوة الناعمة.

ان ايران باعتباها ابرز لاعب في الساحة الدبلوماسية الخاصة بالاربعين، استطاعت ان تستخدم طاقاتها وقدراتها لنشر رسالة الاسلام للعالم بأبهى صورة. وبطبيعة الحال ان الارتقاء بمتطلبات ارساء اسس وقواعد ترسيخ عالمية الاربعين بمثابة ضرورة، يتطلب المزيد. ولاشك ان تأسيس وسائل اعلام عالمية تتحدث اللغة الانجليزية، تتولى مهمة تبيين مواقف الاسلام السياسية والاجتماعية والاخلاقية، يعد احد ابرز السبل والاساليب القادرة على تحويل التهديدات الغربية الناعمة المناهضة للاسلام، الى فرص لنشر الاسلام وتوسيع دائرة نفوذه.

دبلوماسية الاربعين باعتبارها احد وسائل استخدام القوة الناعمة للاضطلاع بدور فاعل ومؤثر في التعريف بتوجهات الثورة الاسلامية المناهضة للاستكبار، وترويج رؤيتها الكونية في اوساط الدول الأخرى، القادرة ـ دون ادنى شك ـ على توعية الجماهير، سيما المستضعفين، لمواجهة المستكبرين والتصدي لمخططاتهم.

و من ناحية ثانية، ان هذه الدبلوماسية تفضي الى المزيد من التقارب والتعاضد والتوحد بين المسلمين خاصة الشعب العراقي، ولا يخفى مدى اهمية ذلك في ثبات واستقرار المنطقة.

دبلوماسية الاربعين الفاعلة والمؤثرة، قادرة على ارساء قوة واقتدار ايران والدول الاسلامية على الصعيد العالمي، خاصة ترسيخ هذا الاقتدار يعتبر اكثر تأثيراً واستحكاماً بالنسبة لايران. ذلك ان ايران تعمل سنوياً على توفير الامن لهذا الحدث العظيم. وينبغي ان لا ننسى ان دبلوماسية الاربعين تعمل على انتقال القيم الاخلاقية والاجتماعية لنهضة سيد الشهداء الى العالم بشكل ثابت وبكلفة أقل .. القيم التي تشكل جذور الثورة الاسلامية. ولعل مقارعة الظلم، وارساء العدالة، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثبات في مواجهة الاستكبار والتصدى لغطرسته، تعد من ابرز الرسائل الاخلاقية والاجتماعية لدبلوماسية الاربعين، التي تشكل بمثابة ادوات القوة الناعمة التي هي في متناولة اللاعبين في ميدان الاربعين. وان الاستخدام السليم وفي الوقت المناسب، باستطاعته التغلب بكل بساطة على المصادر التقليدية للقوة، بما في ذلك القوة العسكرية والاقتصادية. وفي ضوء كل ذلك، يمكن ان نعي اهمية دبلوماسية الاربعين في تغيير ماهية القوة، وايجاد تنوع في اللاعبين الدوليين. وفي الحقيقة ان دبلوماسية الاربيعين تعتبر بالنسبة للمعنيين بها اوسع منظومة لانتاج الثروة الثقافية، وبامكانها ارسال رسائل سياسية واخلاقية واجتماعية عميقة الى العالم.

الابعاد الاستراتيجية

القدوة المقدسة لمسيرة الاربعين، سواء كانت وليدة مسيرة جابر بن عبد الله الانصاري، او الاقتفاء بمسيرة السيدة زينب (سلام الله عليها) ومن كان معها في رحلة العودة الى المدينة ؛ فهي تهدف الى تعريف العالم بهوية التشيع، واحياء التمحور حول أصل الولاية، ومحاولة التصدي للظلم، ومحاربة الفساد الاخلاقي والاقتصادي.

والاستراتيجة الابرز في هذا الصدد، تتمثل في ترسيخ المزيد من تداعيات هوية التشيع، والابتعاد عن اختلاق القصص ومحاولة زيادة الهوة والابتعاد عن حقيقة ما جرى في واقعة الطف وفي كربلاء. ولاشك ان الامام الحسين واصحابه، هم اكثر القدوات الحقيقية لياقة وتأهيلاً بالنسبة لجميع الاحرار. علماً ان الاستعانة بالاساطير والخرافات لنشر نداء الاربعين والتعريف برسالة عاشوراء، يعد آفة الدبلوماسية الاربعينية.

البعد الاستراتيجي الآخر، هو تنزيه المنابر من الخرافات والاخطاء الاستراتيجية بالنسبة لقيام عاشوراء. وبالتالي فان الاستراتيجية الابرز والاهم هي تلك التي تتمثل في محاولة دراسة شخصية الامام الحسين واصحابه بكافة ابعادها. ذلك ان حياة الامام الحسين السياسية والاجتماعية والاخلاقية لا تقتصر على العاشر من محرم، وطالما اقتصر وعينا لموقف للحسين وفهمنا لواقعة عاشوراء، فاننا لن نوفق في نقل ندائه ورسالته الى شعوب العالم.

ان التضامن، التناغم والانسجام، الرأفة والمودة، العواطف، التسامح، التعاضد، الهم المشترك، الضيافة، الشعور (الجمعي)؛ كل ذلك بإمكانه تحويل مسيرة الاربعين الى منبع عظيم للقوة الناعمة بالنسبة للعالم الاسلامي، والاستفادة منها بمثابة آلية فاعلة ومؤثرة للتحرك باتجاه تقارب العالم الاسلامي وتعاضده. والامر الهام هو التأكيد على اهمية الاستفادة من الطاقات الكامنة في الاربعين لتعزيز عالمية الاسلام وتحقق التقارب الاقليمي والدولي، اضافة الى الاستفادة من التوجهات الثقافية والاعلامية بالنسبة لموضوع التقارب، والتأكيد على الدبلوماسية الثقافية التي لا تتحقق دون الاخذ بالاعتبار الاستراتيجيات آنفة الذكر.

كلنا أمل في ان يتمكن الناشطون في الساحة السياسية، وذلك عبر البرمجة والتخطيط واتخاذ الاجراءات المناسبة، وعن طريق الانشطة الثقافية والاعلامية، من اتخاذ خطوات فاعلة ومؤثرة على طريق ايجاد قوة اقليمية وعالمية تترجم الاسلام الحقيقي، وتعمل على ترويج وتعميق المعارف والتعاليم الاسلامية الاصيلة، وارساء التقارب ومتطلبات وحدة الامة الاسلامية، والتخلص من الصورة غير المناسبة وغير الواقعية عن الاسلام، التي عملت على الترويج لها بعض الدول الغربية من خلال حملاتها الاعلامية الواسعة والمسعورة.